إشكالية اللغة العربية : جدل التعريب والتغريب في الجزائر

– قراءة في فكر عبد الله شريط –

The problem of the Arabic language : The controversy of Arabization and Westernization in Algeria - Reading in the thought of Abdullah Cheriet

خلدون يوسف*[1]، حمادي سايح[2]

[1] مخبر الفلسفة والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر

Khaldoun35youcef@gmail.com

[2] جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر

sayehham@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/07/17 تاريخ القبول: 2021/10/17 تاريخ النشر: 2021/10/23

ملخص:

اللغة العربية هي أحد اللغات التي انتشرت بشكل كبير في العالم، حيث استعمالها تعدى 244 مليون نسمة، اشتهر بها الوطن العربي بالإضافة إلى بعض البلدان الأجنبية مثل تركيا وتشاد والسنغال ...، هذا إن دل على شيء إنما يدل على ثرائها وخصوبة مفرداتها ومعانيها، إنها لغة القرآن وهذا كان سبب إقبال غالبية الشعوب عليها وأصبحت ذات أهمية كبيرة لم تشهدها أي لغة قبلها وبعدها.

تهدف هذه الدراسة الى الوقوف على واقع استعمال هذه اللغة في الجزائر مبرزا الجدل بين تيارين متصارعين هما دعاة التعريب ودعاة التغريب من خلال قراءة حداثية وفلسفية لفكر أحد أقطاب المفكرين في الجزائر هو الدكتور عبد الله شريط كونه كان من المدافعين عن اللغة العربية كيف لا واعتبرها أحد المقومات الأساسية لبناء مجتمع مثقف حداثي يساير التطور والتقدم.

كلمات مفتاحية: اللغة العربية، الحداثة، الفكر العربي، تعريب، تغريب.

Abstract:

The Arabic language is one of the languages that has spread widely in the world, as its use exceeded 244 million people, the Arab world was famous for it in addition to some foreign countries such as Turkey, Chad and Senegal ..., If this indicates anything, it is indicative of its richness and fertility of its vocabulary and meanings, it is the language of the Qur'an, and this is the reason why most peoples have come to it and it has become of great importance that has not witnessed any language before and after.

This study aims to determine the reality of the use of this language in Algeria, highlighting the controversy between two conflicting currents, the advocates of Arabization and the advocates

of Westernization, through a modernist and philosophical reading of the thought of one of the leading thinkers in Algeria, Dr. Abdallah Cheriet, being one of the defenders of the Arabic language. The basic principles for building an educated, modern society in line with development and progress.

Keywords: langue arabe, modernité, pensée arabe, Arabization, Westernization.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

اللغة عنصر حيوي يضمن التفاهم والترابط بين أفراد المجتمع، وهي وسيلة لضمان توحيد كلمة الأمة في أبعادها الثقافية وعند الدفاع عن كرامتها وهويتها. وبتلك الوحدة استطاع الشعب الجزائري أن يناضل ويحافظ على شخصيته الوطنية وانتمائه العربي الإسلامي، ويكافح الاستعمار بالغالي والنفيس من أجل تحرير وطنه ومعتقداته ولغته وبفضل مجهودات أبناء الجزائر وإخلاصهم في الدفاع عن الوطن واللغة العربية واستطاعوا أن يثبتوا بقاءها سليمة، وكذلك بتعليمها في المساجد والزوايا ومدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين طوال فترة الاحتلال الفرنسي الذي فرضت سلطاته مضايقات على معنويات المعلمين وحضرا على تعليمهم للغة الوطنية.

هذا الأمر يدفعنا إلى التساؤل عن واقع اللغة العربية في الجزائر وهذا ليس على سبيل مقارنة الواقع اللغوي لدينا بالواقع اللغوي في عالمنا العربي، فليس ذلك من باب المقارنة ومن ثمة المفاضلة بل من باب إيلاء اللغة العربية الاهتمام الذي تستحقه من مجالات الحياة كافة التعليمية والإدارية والاجتماعية والإعلامية والثقافية، وإحلالها المكانة اللائقة بها، فلا تكون لغة المتاحف فقط وإنما لتكون لغة المعارف ويجب تحصين مركزها بالتشريعات القانونية في الدساتير والمراسم والمواثيق الوطنية، من أجل حماية اللغة العربية وتطويرها وترقيتها، والمحافظة على وجودها كونها الفاعل والمؤثر في المجتمع.

لقد تعرضت اللغة العربية وخاصة أثناء الاستعمار إلى هجوم شرس وذلك من أجل القضاء عليها نهائيا، وبدأ ذلك بغلق المدارس والزوايا والمساجد التي تعلم بالعربية، إضافة إلى حضر اللغة العربية في المجال الرسمي حضرا مطلقا، فلا تقبل الوثائق في الإدارة إلا باللغة الفرنسية. حيث أصبحت الشوارع كلها تعبر بلافتات فرنسية أسماء الشوارع والمحلات والأماكن العامة وإشارات المرور، وذلك من أجل دفع الناس إلى تعلم الفرنسية رغما عنهم للتكيف مع هذا الواقع المفروض.

هذا يجعلنا نقف أمام تيارين بارزين على الساحة الفكرية والفلسفية في الجزائر تناولا إشكالية اللغة العربية في الجزائر، ألا وهما دعاة التعريب الذين حملوا شعار الدفاع عن العربية، أما دعاة التغريب فقد تبنوا الدفاع عن الفرنسية حيث كان هدفهم تمرير اللغة الفرنسية وجعلها لغة رسمية هذا الطرح الأخير وجد ردا قاسيا من بعض مفكرينا في الجزائر وعلى رأسهم الدكتور المفكر عبد الله شريط الذي مثل دعاة التعريب ودافع بشراسة عن اللغة العربية إلى آخر حياته، بما يدفعنا إلى طرح إشكالية جوهرية في هذا المقال ألا وهي : ماهي التحديات التي تواجه اللغة العربية في الجزائر ؟

هذه الإشكالية تتفرع إلى سؤالين جوهريين هما : هل من تأثير على اللغة العربية خاصة من طرف الخطاب الاجنبي؟ و ما هي القراءة التي قدمها شريط للنهوض باللغة العربية.. و مجابهة المد التغريبي ؟

فرضية الدراسة : بداية يجب الوقوف على واقع اللغة العربية في الجزائر مع إبراز التحديات التي تواجهها، ثم بعد ذلك ننتقل إلى جدل التعريب والتغريب في الجزائر في ضوء تصور عبد الله شريط مع التأكيد على الدور الذي لعبته العربية في مواجهة المد التغريبي، وفي ما قبل الأخير سنركز على تشخيص الأزمة اللغوية وكيف تجاوزها المفكر شريط مع وضع الحلول للارتقاء بالعربية، وأخيرا تم عرض نظرة نقدية مختصرة لأهم آرائه التي برزت على العموم في هذا المقال، وخاصة مرجعيته الفلسفية التي بنى عليها كل تصوراته وأفكاره.

أما عن المنهج المستعمل في هذه المقال فإنه سيكون لزاما علينا اتباع المنهج التاريخي والتحليلي، أي أو الوقوف على مراحل تطور اللغة العربية عبر فترات من الزمن أي منذ استقلال الجزائر إلى غاية وقتنا الحالي، وكذا تتبع الجدل الذي دار بين المعربين والفرانكفونيين، وصولا إلى تحليل النتائج المتوصل إليها من خلال هذا الصراع من وجهة نظر المفكر شريط.

2. حال اللغة العربية في الجزائر وتهديد سطوة المد التغريبي

تعيش الجزائر واقعا لغويا حرجا تجسد في صراع لغوي تتجاذبه أطراف ثلاثة : العربية الفصحى، والعامية، واللغة الفرنسية، وإن كان هذا الصراع من مخلفات الاستعمار الفرنسي الذي عمل على محاربة اللغة العربية وتهميشها وإحلال الفرنسية بدلا منها، مما اضطر الجزائري لاستعمال العامية للحفاظ على هويته العربية الإسلامية، إلا أن الجزائر لازالت تعاني من هذا الصراع إلى يومنا هذا، فالحديث عن الواقع اللغوي في الجزائر يصطدم بمشكلة كبيرة تتمثل في إهمال اللغة العربية

الفصحى وزحف العامية التي أخذت تتسلل إلى المؤسسات التعليمية والإعلامية والثقافية، إضافة إلى الفرنسية التي تعمل على منافستها في ميدان التعليم العلمي والتقني، وحتى أنها طغت على بعض المعاملات الإدارية، وحتى في الاستعمال اليومي عند الفئة المثقفة من الشعب، ورغم أن الجزائر حصلت على استقلالها من فرنسا إلا أنها لم تتمكن من الاستقلال عنها لغويا، إذ أصبحت اللغة الفرنسية تفوق العربية الفصحى استعمالا، لعوامل اجتماعية وثقافية، إذ أصبح الحديث باللغة الفرنسية مرتبطا بالحداثة والتطور في الذهنية الجزائرية، فرغم كثرة استعمال الدارجات إلا أنها ليس لها تأثير على الوضع اللغوي كما هو الحال في اللغة الفرنسية، وهي اللغة الأجنبية، ولكن بحكم عوامل سوسيوثقافية، والتعميم الفائق لها على حساب اللغة العربية أضحت مستعملة ولها تأثير في المجتمع وأصبحت تتسع بشكل دائم خاصة في السنوات الأخيرة، " علما أن الخطاب الناطق بالفرنسية يستند بصورة جوهرية إلى اعتبار الحداثة، وإلى أمور نفسية واجتماعية "[1].

يتفق مسؤولو قطاع التربية في المراحل التعليمية الثلاث، وأيضاً على مستوى الجامعات الجزائرية، على تدني مستوى اللغة العربية بين التلاميذ. وتشير تقارير سنوية على مستوى وزارة التعليم إلى، نتائج متدنية في اللغة العربية لا سيما في المدن الكبرى حيث يتزايد الاهتمام باللغات الأجنبية وأبرزها الفرنسية، " فصار الفرد المتعلم بالعربية في درجة موازية للأمي، لتصير الفرنسية لغة الخبز والحياة بدون منافس "[2].

في السياق آخر تظهر التقارير الصادرة عن "المفتشية العامة للبيداغوجية" التابعة لوزارة التعليم الجزائرية، أن مستوى التلاميذ في اللغة العربية غير مرضٍ، في حين كانت النتائج بعيدة من الصورة التي يتوخّاها المجتمع في كل الميادين، ما يفرض تجاوز بعض الاختلالات المسجلة خاصة في منهجية تقديم نشاطات اللغة في المرحلة التعليمية الأولى، ونخص بالذكر هنا ميدان فهم المكتوب والقراءة كمرحلية أولية، من خلال اقتراح حلول لمعالجتها بغية تجاوز صعوبات تعلم الأصوات " فتعليم اللغة العربية الفصحى يتطلب إمكانات مادية، وبشرية ضخمة، أما العامية فهي هبة لسانية طبيعية مجانية، وتوظيفها اليومي في شتى المجالات والتعاملات توظيف يفوق الفصحى بشيء كبير ودون عناء، ولا بذل دينار واحد من أجلها، خلافا للفصحى التي توفر لها كل دولة عربية إمكانات مادية وبشرية هائلة ... كل هذا من أجل إثرائها وترقيتها، ومحاولة تعميم استعمالها، وفي كل مرة نجد أنفسنا ندور في حلقة مفرغة، وكل ما ينجز فيها يبقى نظريا "[3]، لهذا نتساءل ماهي التحديات التي واجهتها اللغة العربية في ظل تنامي الخطابات الأجنبية ؟

1.2 التحديات التي تواجه اللغة العربية في الجزائر:

لا يخفى على عاقل اليوم، الدور الكبير الذي تضطلع به اللغة في حياة الأمم والشعوب، فهي الوسيلة الفعالة للتواصل والترابط والتوحد بين أجيال الأمة الواحدة المتباعدين في الأمصار والأعصار، وهي وسيلة الإبداع المتميز في الجانب العلمي والأدبي والفلسفي و حتى الحضاري وهي الناقلة لأفكار الناس ورؤاهم من عصر إلى عصر، لهذا سنقف على أهم التحديات التي مست جميع المستويات في الجزائر وهي:

أ - **على مستوى التربية والتعليم** : إن حال اللغة العربية في مجال التربية والتعليم لا يرقى إلى مستوى الإنسان المثقف المتحضر، وذلك نظرا للاهتمام الفعال باللغات الأجنبية في مقابل اللغة العربية، ولعل الدليل على هذا هو الاقبال الكبير على المدارس الأجنبية والفركفونية وذلك راجع إلى:

- الترويج الكبير للكتّاب والمفكرين المفرنسين، خاصة أمام تأثر أبناء الوطن العربي بمقولات تحط من قيمة اللغة العربية، معتبرين أنها لغة تصلح للأدب والشعر وليس لغة تصلح للطب والعلم أو تجارة أو صناعة .
- فهم القائمين على هذه اللغة أن العربية لها وظيفة واحدة ألا وهي التواصل والتعبير عن أغراض الناس لا غير، لكن هذا مخالف لما تقره الدراسات اللغوية الحديثة، التي تؤكد أن للغة عدة وظائف منها أنها تساهم في صنع الفكر وتوجيهه وإرشاده.
- مزاحمتها للكثير من اللغات خاصة اللغات الأجنبية واللهجات المحلية، مما جعل هذا الخليط اللغوي بمثابة ضرائر للغة العربية، كما عمل علم الاجتماع اللغوي على تحديد هذا الجانب لأن " موضوعه التنوع اللغوي في المجتمع الواحد، وغايته تخطيط السياسة اللغوية بطريقة موضوعية ووسائل علمية " [4]

-الضغوطات التي يمارسها التيار الفرنكفوني المدعم بأجهزة الأمن الدولي.

ب - **على مستوى الإدارات الجزائرية** : من بين أصعب التحديات التي تواجه اللغة العربية في الجزائر وخاصة في الوقت الراهن هو عدم استعمالها في المراسلات الادارية والرسمية، حتى أنه أصبح بعض إطارات الدولة يتكلمون باللغات الأجنبية خاصة اللغة الفرنسية سواء تعلق الأمر باللقاءات الصحفية أو في خرجاتهم الميدانية، رغم وجود مراسيم حكومية، وعدة توصيات من المجمع الأعلى للغة العربية

على ضرورة استعمالها بدل اللغات الأجنبية إلا في الحالة القصوى، " فالتعدد اللغوي يجب أن يسبقه إغماس لغوي للطفل في اكتسابه اللغة الأم لتلافي الانعكاسات السلبية للازدواجية " [5]

ج - على مستوى الحياة العامة : إن أخطر التحديات التي تواجه اللغة العربية في الجزائر هو إبعادها تماما عن الإعمال بها في الحياة العامة وخاصة لمتكليمها، وهذا يدعو إلى الحكم عليها بالفناء والزوال.

لعل من بين عوامل هذا الحكم الصادر على اللغة العربية هو انتشار اللهجات المحلية في الجزائر وإعطائه أهمية قصوى إن لم نقل تقديسها، هذا أفقد العربية أهميتها وضرورتها في المجتمع الجزائري، حتى أن هذه اللهجات شاع استعمالها في الأفلام السينمائية وحتى أجهزة الإعلام كالإذاعة والتلفزيون، وانتقل الأمر إلى المؤسسات التربوية والثقافية أين يصل المثقف إلى مستوى ثقافي معين فيخلط مستوى الفصحى بمستوى العامية، فينشأ خليط بين الفصحى والعامية وهنا تفقد العربية ثوابتها ومقوماتها النحوية والصرفية.

وأخطر من هذا أصبح الأساتذة في الآداب خاصة في المستوى الجامعي يستخدمون العامية (اللهجات المحلية)، وهذا ليس من باب الاتهام والمبالغة، فنحن لا ننكر وجود أساتذة يحترمون اللغة الفصحى ويلزمون بأدائها في محاضراتهم، فإذا كان الحال في كلية الآداب باعتبار اللغة العربية تعاني في استعمالاتها من طرف مستخدميها فإننا لا نلوم الكليات الأخرى على عدم استعمالهم للعربية خاصة الكليات المتعلقة بتدريس المواد العلمية، فـ " إن تغييب وتجاهل اللغة الأولى للمتعلم يؤديان إلى جعل المؤسسة التعليمية تنتج التمييز وعدم تكافؤ الفرص" [6]

3. اللغة العربية في الجزائر بين التعريب والفرنسة : قراءة في الفكر الشريطي

تعود جذور هذا الجدل النخبوي إلى بدايات الاستقلال، حينما تواجه أنصار التوجهين خاصة في الجامعات، لاعتبارات سياسوية في الأساس، في مقابل ذلك حاول أحد التّيارات التركيز على الهوية الجزائرية في التعليم، ورفع شعار الثورة الاشتراكية، إنه لأمر واقع ولابد منه وهو أنه على الجزائر الانفتاح على العلوم التي يتم إنتاجها باللغة الانجليزية، وهو ما يؤكد على أن المثقف العربي اليوم لابد عليه أن ينفتح على الانجليزية وذلك لأسباب علمية، ولكن ما هو متعارف عليه وما اعتاد عليه المثقف الجزائري هو أنه يعتمد على لغة وسيطة وهي الفرنسية للوصول إلى النظريات التي أنتجت بالإنجليزية فمثلا اليوم تصلنا الترجمات لعديد من الكتب باللغة الألمانية أو الانجليزية عن بعض المفكرين كأمثال كارل ماكس أو آدم سميث وغيرهم، حيث أنه أصبحت تنقل هذه الكتب إلى الفرنسية ثم تترجم إلى العربية، لكن عندما نقرأ هذه الكتب باللغة الأصلية يعطي مفهوما وعمقا آخر، لهذا لابد من التخلص

من اللغة الوسيطة ويجدر هنا الاطلاع عليها باللغة الأصلية، وكذلك الأمر نفسه عندما تظهر نظريات باللغة الفرنسي، لهذا ماهي معالم الجدل بين دعاة التغريب ودعاة التعريب في الجزائر ؟

1.3 الفرنسة أحد مظاهر التغريب :

مما لا ريب فيه فإن هذا النقاش الجاد – دعاة التغريب ودعاة التعريب - لازال ساري المفعول إلى يومنا هذا، بل تعدت جدالاته الأروقة الأكاديمية متجاوزة ذلك إلى بعض المؤسسات و الفضاءات الأخرى للدولة على غرار الإعلام و الصحافة، المؤسسة التربوية، المجتمع المدني و حتى بعض الأحزاب السياسية – رغم أن أطروحات هذه الأخيرة لا تتعدى عتبة الشعبوية و التسطيح لكونها متشبعة بالإيديولوجيا و منهكة من الديماغوجية- و لكن ما يثير الاهتمام هو وصف عبد الله شريط لهذا النقاش بمختلف فتراته بأنه نقاش بين طرفين لا يفهم أحدهما الأخر أو نقاش الصم و البكم، لهذا انتقد جميع المحسوبين على هذا النقاش بمختلف تياراتهم و توجهاتهم و نزعاتهم أكانت (تعريبية معربة) أو (تغريبة مفرنسة).

ولقد اعتمد الاستعمار الغربي على الطبقة المثقفة لذلك استهدف المؤسسات التعليمية من مدارس وجامعات، من أجل تكوين نخبة تابعة، ومتشبعة بالقيم الغربية تستطيع أن تكون فيما بعد واسطة لتحقيق النفوذ الغربي في المجتمعات العربية الإسلامية، واعتمد على هذه الطريقة سواءً أثناء تواجده كمستعمر أو بعد رحيله، فتغلغل الثقافة الغربية واللغة الفرنسية ما كان ليتم لولا الاعتماد على التكوين على الأسلوب الغربي والمبادئ الغربية، وهنا أصبح التكوين والتعليم وسيلة من وسائل التغريب، فالوجود الاستعماري في المغرب العربي عامة والجزائر خاصة جعل هذا الأخير حقل تجارب لكل أدوات ومناهج وأهداف التغريب.

التيار الفرنكفوني في الدولة العميقة ذو نفوذ قوي، فالجزائر ظلت منذ استقلالها عن فرنسا مرتبطا باتفاقيات، منها ما هو معلن ومنها ما هو سري، تعطي لفرنسا نفوذا في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية في الجزائر. وهذا لا يتم من خلال تدخل مباشر من طرف صانع القرار الفرنسي، بل يتم توظيف التدخل الناعم من خلال دعم الأذرع الفرنكفونية من داخل أروقة صناعة القرار، وهذه الأذرع يمثلها سياسيون وتكنوقراط من الجزائريين يشكلون لوبي فرنكفوني يرتبط بمصالح سياسية واقتصادية وثقافية مع فرنسا، وهو في دفاعه عن مصالحه يدافع بشكل غير مباشر عن المصالح الاستعمارية في الجزائر، يقول العلامة ابن خلدون " إن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده" [7]

إن تركيز اللوبي الفرنكفوني في الجزائر على قطاع التعليم، ليس أمرا جديدا بل كان منذ حصول الجزائر على الاستقلال، حيث دخل هذا اللوبي في مواجهة التعليم الخاص الذي أسسته الحركة الوطنية وكان يمثل النواة الأولى لبناء تعليم وطني نابع من الخصوصية الحضارية العربية الإسلامية التي تميز الشعب المغربي، و لذلك فإن نجاح التيار الوطني في إقرار المبادئ الأربعة لإصلاح التعليم في الجزائر (التعريب، التوحيد، التعميم) لم يتم على أرض الواقع، لأنه واجه مقاومة شرسة من طرف خدام المشروع الاستعماري في الجزائر، بل على العكس من ذلك تحقق المشروع الفرنكفوني البديل – مع استثناء واحد يتعلق بمغربة الأطر - فقد عرقلوا تنفيذ مشروع التعريب، من خلال غياب التخطيط و التشكيك في جدواه، كما تمت عرقلة مشروع التوحيد من خلال فتح المجال أمام البعثة التعليمية الفرنسية، تصول و تجول بلا رقيب و تزاحم التعليم الوطني، أما التعميم فقد ظل شعارا شكليا تم إفراغه من محتواه نظرا للتحديات التي واجهها التعليم في المدارس الجزائرية.

التدمير الذي لحق اللغة العربية من طرف الاستعمار الفرنسي وافراغها من محتواها وجعلها ميتة وعاجزة عن التطور في مدارسنا وثقافتنا، هو ما عثر مسيرتنا الفكرية والتنموية، لأن "مسألة تبني لغة أجنبية مطروحة حين تغير القشرة السطحية من وجودنا، ولكنه لن يغير أعماقنا أو يحقق للشعب ما يصبو إليه من تطور"[8] ، أما التيار الذي ينادي بنشر الجهل والظلام، ممن لهم مصلحة في ابقاء الغموض على قضية التعليم والتعريب، حتى لو كان على حساب مصلحة الطفل في المدرسة أو المصلحة العليا للبلاد، هؤلاء يعملون على حفر قبر اللغة العربية رغم التشدق بألفاظها الرنانة، مما يتحتم علينا التصدي لهم ومنعهم من ذلك، أي للذين قتلوا اللغة في بلادنا.

لقد مارس الاستعمار الفرنسي على الجزائر الإكراه والعنف، الذي بلغ حدا من الهمجية والظلم لم يبلغه أي استعمار في أي بلد عربي آخر، مما حتم على النخبة المثقفة، إما الاندماج في الثقافة الأجنبية وإما أن تجد نفسها مهمشة غير قادرة على تأطير المجتمع وتوجيه الحياة الفكرية، وقد انعكس ذلك على المثقف الجزائري الذي يعيش هذا الحرمان المادي، وهذا ما جعل الانتاج الثقافي في الجزائر منذ الثلاثينيات إلى الستينيات يتميز بالطابع الشعبوي، سواء في اتجاهه أو انتمائه الاجتماعي " وتكوينه المتوسط وعند تحليل هذه الوضعية نشير إلى ظهور فئتين من المثقفين فئة معربة والأخرى مفرنسة "[9]

إن التفاوت الحاصل في المجتمعات العربية وخصوصا في المجتمع الجزائري، الذي ظلت هذه المشكلة قائمة فيه، رغم المجهودات والدراسات الجادة والعميقة المبذولة والتي تتناول مشكلة اللغة من

منظور اجتماعي، وإن كانت مطبوعة أحيانا بصبغة إيديولوجية ماركسية مثلا، فهذا الاتجاه الشعبي القومي هو الذي يعتبر كنموذج لمعالجة مشكلة اللغة والمجتمع عندنا، فقد كان الأستاذ مصطفى الأشرف، أحسن من يمثل هذه الاتجاه في دراسات قيمة نشرها في عدة مجلات عالمية منها " الأزمنة الحديثة "وفي اعتقاده أن ما دفع بالشعب الجزائري إلى اعتناق الفرنسية ولغتها، ليس كون هذه الثقافة مفروضة عليه من طرف الاستعمار بل الفراغ الثقافي، ومحاولة سده جعلها تقبل بالثقافة الأجنبية، عند انعدام وسائل التثقف بلغته الوطنية، ورغم كوننا حاولنا مواجهة هذا العالم الحديث بثقافته العلمية، فتمسكنا بأصالتنا وتراثنا الثقافي العريق المتعلق بالحياة الأخلاقية والروحية، لأن الاحتلال الفرنسي قد حاول فرض الهيمنة اللغوية، ومحاربة اللغة العربية، وإن كنا نحن نعتقد في فترة الكفاح الوطني أن لغتنا تستطيع اكتساب خصائص لغات العلم المعاصرة، حتى ولو بقي بلدنا في المجالات الأخرى بلدا زراعيا متخلفا، صحيح إن التخلف الذي تعانيه لغتنا، لم يكن ناتجا من أساليبها البيداغوجية الموضوعية التي بقيت دون تغيير، ولا من محتواها الذي بقي جامدا، بقدر ما جاء هذا التخلف من الاحتكاك بالعالم المتقدم وثقافته، وقد ترتب عنه صراع بين اللغات المتقدمة ولغتنا وثقافتنا الاجتماعية.

فهذا الوضع قد انعكس على المجتمع مما جعلهم يجد صعوبة في تحقيق هذا التوازن بين مكتسبات الماضي وانجازات الحاضر، فهذا الوضع الثقافي المصاب بالمجاعة يعاني أمراضا متعددة كالافتقار إلى منتوج لغوي خصب يملك القدرة على مواجهة هذه التغيرات الطارئة على مجتمعنا، ثم إن العلاقة بين القمة الثقافية والسياسية والادارية والقاعدة الشعبية تتعرض في غالب الأحيان للإخفاق وسوء التفاهم، لأن لغة التخاطب هي الفصحى، مما جعلها لا تشمل كل فئات المجتمع، وهذا ما أهمله البيداغوجيون في تطوير هذه اللهجات المحلية وتنميتها، حتى تأخذ طابع اللغة الثقافية، ويصبح مجتمعنا يتكلم كما يكتب ويكتب كما يتكلم، ولكن السؤال الذي يطرح كيف يمكننا أن ندير هذه الجماهير المهملة، لتطوير أفكارها حتى تلتزم مع القمة ومواكبة هذا التقدم العلمي والتكنولوجي ؟.

2.3 اللغة العربية في مواجهة تسارع المد التغريبي الفرانكوفوني:

تعتبر اللغة العربية اللغة الأصلية لشعوب الوطن العربي عامة والجزائر خاصة، وذلك منذ زمن جد بعيد على الأغلب مدة أربعة عشر قرن، كما أن الشعوب العربية قد قدست هذه اللغة باعتبارها لغة القرآن لهذا فهي لغة العقيدة والدين الاسلامي، ولغة الثقافة والتعاملات اليومية كما أنها أصبحت

أحد مقومات الشخصية العربية إضافة إلى ذلك أنه حدث امتزاج بين العروبة والاسلام وأصبحت اللغة العربية تدافع عن الدين الإسلامي، لذلك كان هدف الاستعمار الثقافي وبأدواته المختلفة فصل الإنسان عن جزء منه وهو اللغة العربية وطرح بديل عنه متمثلا في الفرنسية الذي مثله التيار التغريبي، وقد تم " تشجيع الباحثين على عقد اللقاءات والمؤتمرات لتبادل الخبرات والكتب وكانت الحكومة الفرنسية تفتح لهم المجال وتشرف عليهم وتغطي نشاطاتهم لأنها هي تدرك أنها المستفيدة في آخر المطاف"[10]

ينبغي التسلح بمنطق لغوي يعبر عن طموح المجتمع، كون اللغة دالة الفكر وتدخل الإنسان إلى مجتمع متحضر إنسانيا، فلا وجود لمجتمع دون لغة ولا وجود للغة دون مجتمع، ومما عقّد مهمة اللغة في المجتمع والانفصال الواضح خصوصا في الجزائر أي استعمال النظري المجرد والتشبع بالمفاهيم الفلسفية والطابع البلاغي، فكان لهذه النظرة الجمالية للغة، أن أصبحت مغيبة عن الواقع لا تتعدى فائدتها الجمالية في القول على حساب الفعالية والتبادل النافع، لهذا فالأستاذ شريط يعتبر لغة الصحافة قد حققت شوطا في هذا المجال، ولكن لا ينبغي حسب رأيه أن نجعل منها حلا لهذه المشكلة التي من المفروض، أن تكون من أبرز اهتمامات الطبقة المثقفة، ومجامع اللغة وعلماء الاجتماع، ليكونوا على اطلاع ومعرفة عميقة بمشكلات المجتمع وطموحاته.[11]

ولقد كان المفكر عبد الله شريط محقا في استنتاج الفكرة الهامة المتمثلة في غياب الإيديولوجية اللغوية، التي تحدد النسق اللغوي للمجتمع من جهة المصطلحات والقواعد والتركيب، ولا نترك الحرية للناس في اختيار ما يناسبهم، والضغط عليهم في استعمال المفردات المتفق عليها اجتماعيا فهذا ضرب من الثورة لم تتحقق بعد، فعلماء الاجتماع لا يشتغلون بهذه المسألة كإبداع مفاهيم لغوية جديدة وكتابتها، ولكن في الحرص على دفع وتحفيز اللغويين على دراسة العوائق الاجتماعية التي تعرقل ذلك، انطلاقا من المناخ الفكري الخصب الذي يهيأ هؤلاء العباقرة للنهضة بالمجتمع، ومحاربة مظاهر التخلف كاحتواء اللغة العلمية وفرضها في شتى مجالات الحياة، وبين الفئات المكونة للمجتمع، لأن التخطيط للاقتصاد والزراعة والتجارة مثلا، يكون أسهل في ظل سلوك إنساني تشكله الثقافة والمستوى الحضاري، والاستعانة بالروح العلمي والتسلح بمنطق الروح النقدية والتخلص من النقل المفروض ولا يتحقق ذلك دون ازدهار لغوي أو قوالب فكرية، وفعلا فيمكن أن نتبنى المقولة المشهورة" إن اللسان هو الذي يعرف به الطبيب أمراض الجسم والفيلسوف أمراض النفس"

لقد أصبح التعريب في بلادنا موقفاً كاملاً من تراثنا التاريخي، ومن العالم الخارجي، ومن محاولات الاستيعاب والسيطرة الفكرية التي تقوم بها قوى استغلالية عاتية. وفي كل مرحلة يبدو فيها مشروع النهضة في حياتنا أملاً عريضاً، يبرز التعريب بوصفه أول عناصر هذا المشروع وأكثر وسائله فعاليّةً. هكذا كان منذ القرن الثاني الهجري، حين اقترن الامتداد الهائل للحضارة العربية الوليدة بحركة تعريب فريدة تمكنت فيها لغة كانت حتى عهد قريب انعكاساً لحياة بدوية شديدة البساطة، من التعبير عن أرقى ما وصلت إليه ثقافة اليونان والفرس والهنود في ميادين العلم والفلسفة والآداب والعقائد. وهكذا أصبح منذ القرن التاسع عشرة، حين كانت أبرز معالم تلك المحاولة الدائبة التي بذلناها من أجل استرداد هويتنا واستعادة كياننا حركة تعريب واسعة كان روادها هم أيضاً رواد الفكر السياسي والنهضة الثقافية.

في المقابل كانت الفرنسية تعمل عملها في المجال الاجتماعي فقد كانت تقريبا كل الأشياء بالفرنسية عناوين الرسائل، أسماء الشوارع والمحلات والأماكن العامة، إشارات المرور، وذلك لدفع الناس لتعلم الفرنسية رغما عنهم للتكيف مع هذا الواقع المفروض، وأيضا لنشر الثقافة الفرنسية من خلال تغليف الواقع الاجتماعي بمظاهر الثقافة الفرنسية، وتواصلت السياسة الاستعمارية للقضاء على اللغة العربية بالمنع والتضييق لإزالتها من الواقع الاجتماعي، ومن النفوس أيضا، ولولا ارتباطها بالعقيدة الإسلامية لما بقي منها شيء، لأن ارتباط شعوب المغرب العربي بعقيدتها وممارستها لواجباتها الدينية حفظ اللغة العربية من الزوال.

إن الغزو الفكري الغربي الحديث الذي يستهدف تكسير شوكة المسلمين، وتشويه هويتهم وعزلهم عن ماضيهم وميراثهم الحضاري، وتغريبهم عن عقيدتهم ولغتهم، لم يترك وسيلة إلا استخدمها لتحقيق مآربه، ولم يترك جهة لمس فيها الاستعداد للتعاون معه إلا تعاون معها وربط نفسه بها. وقد كان في طليعة هذه الجهات التي تعاونت مع المستعمر الغربي، وربطت أهدافها بأهدافه «الصهيونية العالمية» التي برزت بوصفها حركة سياسية عنصرية تسعى لبسط النفوذ على العالم بأسره بشتى الطرق والوسائل. وقد حققت جملة من المكتسبات في الواقع الملموس، أبرزها الحصول على وطن قومي لليهود في أرض فِلَسْطين المباركة. ومن جهة أخرى، شكلت العلمانية إحدى الوسائل الخطيرة التي مهّدت الطريقَ لحركة التغريب التي مسَّت نواحي مختلفة، وبناءً على ما سبق، كان من الطبيعي أن تعرف المجتمعات المتغرِّبة حالات من الفوضى والتطرُّف العام. لذا يربط بعض الباحثين بين الغلو

والتغريب. يقول طارق البِشْري : " :يبدو لي أن الغلو سيبقى، بدرجات شتى وأشكال متنوعة وعلى فترات ممتدة أو متقطعة، ما بَقيت هيمنة التغريب، ولن يضعف إلا بضعْفها"[12]

إن التغريب أخطرُ من الغزو العسكري، ذلك بأن الاستعمار العسكري حدثٌ وقتي يتسلط على أمة من الأمم ردحًا من الزمن – قد يطول وقد يقصُر – ثم يذهب وتعود تلك الأمة إلى وضْعها الطبيعي وثقافتها الأصلية وحُرياتها التامة، وربَّما بصورة أقوى وأحسن من السابق، وربما كان ذلك التحدي عاملًا من عوامل الإبداع والتفوق والتقدم نحو الأمام. أما التغريب فهو أخطر من ذلك بكثير لأنه يضرب الأمة في موطن قوتها وبؤرة حياتها، ويقتل فيها روح المبادرة والثورة، ويهجم على ثوابتها التي لا غنى عنها في وجودها، إنه بكلمة مختصرة" احتلال العقل والنفس"[13]

مما لا ريب فيه أن أبناء الأمة الإسلامية تجنّدوا لإبْطال مفعول سمّ التغريب، فقاموا بردود فعل قوية وملموسة ...وهكذا" ظهرت الحركة الإسلامية مع هيمنة التغريب، وتصاعدت مع تصاعُده وهي تعتو مع عتوّه"[14]، كما نشطت حركة التعريب، واتسع نطاقها لتشمُل عدة ميادين حيوية واصطبغت بأصباغ جديدة تماشيًا مع واقع التغريب؛ بحيث" لم يعد التعريب في حياتنا المعاصرة مجرد هدف ثقافي، وإنما أصبح هدفًا حضاريا شاملا، ينطوي على جوانب سياسية وقومية لا تقل أهمية عن جوانبه الثقافية"[15]

3.3– تطور التعريب في الجزائر (1962 – 2003)

مما لاشك أن اللغة الفرنسية دخيلة على المجتمع الجزائري، بل لغة العدو بالأمس، وكان علينا أن نسترد الهوية الوطنية باستعمال اللغة العربية التي حُسم في شأنها منذ الثورة التحريرية، ولكن الفرنسية لغة المكسب أو غنيمة الحرب، ولها رصيد بشري في مجتمعنا، ولغة علمية عالمية لها من الرصيد العلمي ما يضاهي اللغات الراقية، زيادة على هذا أنها اللغة التي تتقنها الأطر الجزائرية والتي تسعى بكل الوسائل لبقائها، لهذا سنقف في هذه العنصر على مراحل تطور التعريب في الجزائر منذ الاستقلال إلى غاية إصلاحات المنظومة التربوية في الجزائر سنة 2003.

- **الفترة الممتدة ما بين 1962–1965**: قد تجسدت اللغة العربية في المواثيق الرسمية والخطاب السياسي كميثاق طرابلس 1962 الذي انعقد ليحدد تصوراته للدولة المستقلة ومنها المسألة الثقافية. وقد أبرز الانتماء الوطني للثقافة، وجمعها بين الوعي الثوري والحرص العلمي وذلك بإعطاء اللغة العربية مكانتها الحقيقية، وإعادة بناء التراث الوطني ومحاربة الهيمنة الثقافية والتأثير الغربي، اللذين ساهما في تلقين الكثير من الجزائريين احتقار لغتهم وقيمهم الوطنية ودستور الجزائر 1963 الذي يعد

الأول في تاريخ الجزائر المستقلة، أكد على أنّ اللغة العربية اللغة الوطنية والرسمية في الجزائر، وذلك في مادته الخامسة" :إن اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية للدولة "[16]

- **الفترة الممتدة ما بين 1965-1967:** تميزت هذه المرحلة بوصول الرئيس الراحل هواري بومدين إلى الحكم، فاتسمت المرحلة الأولى من حكمه باستمرار الازدواجية اللغوية التي لا تختلف عن عهد سابقه فقد بنى سياسته على النهج الثوري التي كانت اللغة أساسها كضرورة وطنية، مما يتطلب النهوض بها وإعادة مجدها الأول. يقول" :قضية التعريب هي مطلب وطني وهدف ثوري، ونحن لا نفرق بين التعريب وبين تحقيق أهداف الثورة في الميادين الأخرى" [17]

- **الفترة الممتدة ما بين 1971-1980:** تجسدت تصريحات الرئيس بومدين في جهود ميدانية، بدأت خلالها العربية تتبوأ مكانتها منذ سنة 1971، والتي أسماها الراحل سنة التعريب، لما شهدته من إجبارية في معرفة اللغة الوطنية وتوسيع دائرة التعريب لتشمل مختلف القطاعات، وبخاصة التعليم العالي الذي خصصت له وزارة.

وفي ديسمبر **1973** عقدت الجزائر المؤتمر العربي الثاني للتعريب، وكان ذلك بعد مضي اثنتي عشرة سنة من انعقاد المؤتمر الأول بالمملكة المغربية سنة 1961، فكان مؤتمرا تأسيسيا ممهدا لما بعده، وكان أعظم ما أسفر عنه إنشاء المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي الذي قدم للعربية خدمات جليلة.[18]

- **الفترة الممتدة ما بين 1980-1989:** تم إنشاء المجلس الأعلى للغة الوطنية تحت إشراف رئيس حزب جبهة التحرير الوطني عبد الحميد مهري سنة 1981، وتمثل نشاطه الأساسي في متابعة ومراقبة تطبيق برنامج تعميم استعمال اللغة العربية، كما تم إنشاء المجمع الجزائري للغة العربية سنة 1986 وكان هدفه خدمة اللغة العربية وترقيتها وتطويرها، وعرفت مرحلة الثمانينيات بمرحلة تأسيس المؤسسات اللغوية.

- **الفترة الممتدة ما بين 1990-2003 :** تعد هذه المرحلة مرحلة التجسيد الفعلي لقرارات المرحلة السابقة، خاصة بعد إصدار قانون تعميم استعمال اللغة العربية، وهو قانون رقم 91-05 مؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق 16 يناير سنة 1991 المتضمن استعمال اللغة العربية، وذلك في مادتيه الأولى والثانية (01، 02) من الفصل الأول منه أن" :يحدد هذا القانون القواعد العامة لاستعمال اللغة العربية في مختلف ميادين الحياة الوطنية وترقيتها، وحمايتها ."وفي مادته الثانية: "اللغة العربية من مقومات الشخصية الوطنية الراسخة، وثابت من ثوابت الأمة" [19]

4. عبد الله شريط متجاوزا الأزمة اللغوية.. من تشخيص أسبابها إلى الوقوف على حلولها :

مما لا شك فيه أن اللغة العربية من أبرز وأقدم اللغات ولها خصوصيتها من ألفاظ وقواعد وصرف وتراكيب ونحو، فهي حاملة للثقافة و التاريخ و الهوية من الشرق إلى الغرب، وتعتبر اللغة العربية من أفضل الطرق والوسائل التي تمكننا من معرفة حضارة أمتنا العربية الإسلامية، لذلك وعلى هذه الأهمية التي تكتسيها جعلت المفكر عبد الله شريط يقف موقفا مدافعا عنها، بل وضع حلولا لتجاوز الأزمات التي عاشتها في الماضي، خاصة خلال تواجد الاستعمار الفرنسي، ومن هذا المنطلق فما هي الحلول التي اقترحها لحل مشكلة اللغة العربية في الجزائر متجاوزا في ذلك أزمة الصراع التعريبي والتغريبي ؟

1.4 سبيل الارتقاء باللغة العربية في تصور عبد الله شريط :

حدد شريط مشكلة اللغة العربية بأنها موجودة في الجامعة التي لم تصبح جامعة جزائرية قومية وإنما هي جامعة أجنبية في قرارتها ومواد دراستها، هذا الوضع جعلنا لا زلنا في القرون الوسطى فانقطعنا عن الماضي والحاضر في الوقت نفسه، وعجزنا عن تأدية رسالتنا نحو الوطن وتاريخنا بصفة عامة، أما من الناحية التربوية فإنه همشنا وضع طلبتنا من خلال أننا لم نعد نفيدهم ببضاعة علمية أو ثقافية واضحة وبسيطة تتماشى مع إمكانياتهم الذهنية التي لم تتهيأ في وسط عائلي أو اجتماعي بل على الطريقة الفرنسية لهذا شريط يقسم الطبقة المثقفة إلى قسمين قسم طلب العلم من غيره فناله إلا أن الآخر أو الغير طبعه بطبعه، وهذه الفئة أهملت لغتها الأصلية وهي اللغة العربية واكتفت باستهلاك لغة الأجانب، وقسم آخر طلب العلم وناله ولم يحسن التصرف فيه لنفع مجتمعه ووسطه فهذا القسم أخذ لغته الأم وهي اللغة العربية، ولم يعمل على التصرف فيها واكتفى باستهلاك ما خلفه الأجداد حوله من العلوم، لكن رغم ذلك إلا أن هذان القسمان لا يحلان أزمة الثقافة والوعي لدى الشعب، لأن المجتمع لا يستطيع أن يحيا بلغة أو ثقافة أجنبية عنه كما أنه لا يستطيع أن يحيا بلغة تجمدت قواعدها، لذلك اقترح المفكر شريط حلولا للارتقاء باللغة العربية والتي تمثلت فما يلي:

أ -لابد من صقل المنظومة التربوية الأجنبية التي هي بعيدة كل البعد عن الغايات والمبادئ والمفاهيم والتي أبقت الإنسان الجزائري يعيش التخلف الاجتماعي وتحدياته من أمية وفقر وجهل وغيرها من عوائق لهذا كان لزاما على الدولة الجزائرية بلورة طموح المجتمع الجزائري في التنمية، من خلال ابراز هويته وبعده الثقافي والوطني، في تجسيد حقه في التربية والتعليم.

ب- المنظومة التربوية التي لا تكون منبثقة من فلسفة المجتمع وتعبر عن تطلعاته وطموحاته، فهي منظومة فاشلة لذلك كان لزاما على الدولة الجزائرية أن تبدع تخترع منظومة تتماشى ومتطلبات الواقع الاجتماعي وأن تعلن الثورة على ما خلفه الاستعمار من ركود وتخلف فكري واجتماعي، النموذج الياباني أكثر مثال على ذلك إذ خرج محطما من الحرب العالمية الثاني لكنه بفضل عبقريته انطلق من تأسيس ذاته بذاته ولم يكن تابعا للغير.

ج-لابد من فصل الجانب السياسي عن الجانب التربوي ولكل مجاله الخاص، فتدخل السياسي في الجانب التربوي هذا يمثل عرقلة للحركة التعليمية إضافة إلى ذلك لابد من إعطاء الأولوية لأهل قطاع التربية في إعداد المناهج والبرامج دون منحهم لأهل السياسة، لأنه إذا أوكل الأمر لغير أهله فلن تكون هناك نتيجة إيجابية.

د-رفض المناهج المستوردة وكذا الاملاءات الخارجية والأجنبية فيما يخص المنظومة التربوية، مما يجعلنا نبحث عن ضرورة النهوض بالبحث العلمي والتربوي والإعلام بالاعتماد على التكامل بين الكفاءات الجامعية المختصة من جهة والتربويين من أصحاب الاختصاص.

هـ-الاصلاح الذي لا يأخذ الوضع التربوي بعين الاعتبار لا يمكن أن يحقق نتائج ملموسة لذلك لابد أن يكون فعالا من أجل تطوير التربية ومنه المنظومة التربوية، وهو ما تطمح لتحقيقه الجزائر بعد كل اصلاح خاصة اصلاحات 2003.

و - لابد من الاهتمام باللغة الوطنية وسن القوانين باللغة العربية، كيف لمجتمع يهمش لغته المحلية والوطنية ويستند إلى لغة أجنبية في التعاملات التربوية والثقافية أن يحقق نموذج تربوي منشود، يقول الدكتور عبد الله شريط : " أخذنا العربية عظيمة غنية مستعدة للتفجر عن إبداعات مدهشة فقيدناها بالقواعد الجزئية الضيقة، ففقدت عظمتها التطورية"[20]،من خلال هذا القول فإن الدكتور يبحث عن مخرج يخلص اللغة العربية من ذلك الجمود إلى الحيوية والنشاط لهذا يدعو المثقف الجزائري خاصة المعلم إلى التفاعل الإيجابي بينه وبين متعلميه حتى تنمو ملكات التلاميذ من خلال ربط الدرس بالتطبيقات والشواهد والأمثلة، وكذا ربط المعرفة بالعمل، حتى يتسنى لهؤلاء الشباب أن يخدموا شعبهم وذلك من خلال حرصهم على التعريب والإحساس بمشكلات شعبهم وتطلعاتهم.

ز-هناك عائق آخر ساهم في تأخر الثقافة الجزائرية ويعتبر أحد معيقات الثقافة التربوية خاصة في الجزائر ألا وهو الجمود، يرى الدكتور عبد الله شريط أن النهضة الثقافية لا تقوم إلا بالعودة إلى الاهتمام باللغة العربية كونها حاملة للثقافة الخصوصية والمحلية، وبها تنتقل خبرة الأجيال السابقة إلى

الأجيال اللاحقة وبالتالي " فإن قضية التعريب هي قضية حضارة وفكر ومن ثمة فهي قضية وجود أو لا وجود" [21]، وهنا لابد من الإشادة بمواقف الرجل كونه دافع عن اللغة العربية ووقف في وجه المتربصين بها.

2.4 تفعيل اللغة العربية كرهان حضاري:

يدعو المفكر شريط إلى ضرورة التعريب في الجزائر فهو أساس التطور، فالتدمير الذي لحق اللغة العربية من طرف الاستعمار الفرنسي وإفراغها من محتواها وجعلها ميتة وعاجزة في مدارسنا وثقافتنا هو ما عثر المسيرة الفكرية والتنموية، " لأن مسألة تبني لغة أجنبية ... ولكنه لن يغير أعماقنا أو يحقق للشعب ما يصبو إليه من تطور" [22] ، فشريط يدعو إلى إحياء اللغة فحياة الفكر مرتبط بها وحياة الفكر تعني الحرية فالتعريب هو جزء لا يتجزأ من الثقافة الوطنية، إلا أن الدكتور يدعو إلى الممارسة لا القول فقط فهذا أحد معوقات تطبيق العربية، كون أن الارتقاء باللغة مهمة نبيلة يضطلع إليها كل متعلم متحمس لخدمة لغته فتطويرها مرهون بتنظيم الأنفس على شكل وحدات أو تشكيلات تكون بمثابة النفس الجديد لها ويبث فينا دما جديدا في كياننا اللغوي.

فهو يعتبر أن حياة اللغة تعني حياة الفكر، وحياة الفكر تعني الحرية، وهناك من ينظر للتعريب نظرة تقديسية كونه يعتبر جزء لا يتجزأ من الثقافة الوطنية، غير أنهم يجهلون أثره على الطفل والمدرسة، باعتبار أن تبني فكرة التعريب دون العمل بها قد يجعل من الذين يدافعون عنه، هم أنفسهم من يضرون به على المستوى النظري والعملي، وهنا نجد توافق في وجهات النظر بين الدكتور عبد الله شريط ومصطفى الأشرف لأن الدعوى إلى القول دون التجسيد الفعلي هو من الصعوبات التي تواجه تطبيق العربية والاشتراكية، وهنا نجد المفكر شريط يستند إلى الإيديولوجية الاشتراكية في تحليل واقع المنظومة التربوية في الجزائر.

مجتمع الحداثة لا يكون إلاّ بالتّمكين للغة العربيّة في مجالات المعرفة الإنسانيّة المختلفة فمن لا ينفتح على العالم، ولا يواكب التطوّر المشهود في مختلف المجالات العلمية والاتصالية بلغته، يبقى خارج التاريخ لا محالة. ذلك أن العلاقة ضرورية بين كينونة الفرد وفاعلية اللغة، فالإنسان باعتباره كائناً ناطقاً لا يستوي فاعلاً بامتياز في الاجتماع الإنساني إذا لم تكن لغته مواكبة لأحداث العصر قادرة على تمثل مستجدات الظرف التّاريخي الذي ينتمي إليه، فاللّغة هي وسيلة تعبير وقول ووجود وأمارة كينونة، فبحياتها يحيا الإنسان، وباستمرارها تستمر الجماعة البشرية، وبها يعبر الناس عن أحوالهم، وعن سيرورة معاشهم، وبها يشيع إبداعهم، وينتشر فنهم، وذلك كله لا يكتسب خصوصيّته

وفرادته وامتيازه، إلا إذا ورد بلغة المبدع وعبر عن هويّته المخصوصة وخلفيّته الثقافية المميّزة، مما يسمح له بتقديم الإضافة إلى الآخر، والتّحاور معه لغويّا وثقافيّا وحضاريا.

5- قراءة نقدية للآراء عبد الله شريط

بعد عرضنا لأهم المواقف الفلسفية للمفكر شريط والتي كانت نابعة من أعماق فيلسوف الحداثة في الجزائر كيف لا وهو الذي دافع عن مقومات المجتمع الجزائري خاصة اللغة العربية، فقد استطاع أن يضع بصمته ضمن مفكري الفكر المعاصر، إذ أنه هو يؤكد على أن المثقف يكمن دوره في أن يثور على واقعه وذلك عن طريق النقد الذاتي، وذلك عن طريق اكتشاف العلة أو تحديد الداء ثم اقتراح العلاج أو كشف الدواء لهذا يقول " إن أول دور عملي يجب أن بقوم به المثقف هو أن يثور على واقعه بالنقد الذاتي ... وإنما الفكر الصحيح هو الذي يجب أن نتعلمه من ابن خلدون، وهو الشرح والتحليل للواقع، والبحث عن علله وأسبابه "[23]، وهنا تظهر سمة النقد العلمي كمنهج يجب أن يتسلح به المثقف في أي مجتمع كان، وهنا يثمن عبد الله شريط دور الفكر العلمي وهذا إذا كان ملتصقا بحياة المجتمع وخدمته له، ومعالجة مشاكله ودون هذا لن يكون هناك فكرا علميا، بل فكر طوباويا يسبح في مجال فارغ " يمكن أن نعتبر الفكر العلمي قوة اجتماعية وروحية مباشرة ... وبدون الفكر العلمي تبقى الأهداف الفلسفية والعقائدية خيال شعراء "[24]

لكن رغم مواقفه الإيجابية إلا أنه لا يخلو من عيوب سنقف على جزء قليل منها في هذا المقال فالملاحظ أن التعريب على أهميته تلك، لم يأخذ بعدُ مداه المأمول في السّياق العربي المعاصر عامة والجزائر خاصة كما ذهب إليه مفكرنا عبد الله شريط، فقد أدّت العولمة اللغوية إلى هيمنة اللّغتين الإنجليزية والفرنسية، على التداول اللساني في البلاد العربية، شفوياً وكتابياً، وانحسر التعريب في المستوى الأكاديمي والمؤسساتي الرسمي، ولم يترجم إلى واقع عملي يحياه المواطن العربي، ويطبّقه في مختلف مناحي الحياة الفنّية والإبداعيّة والعملية، وفي مقامات التواصل اليوميّة داخل المؤسّسة الإعلاميّة أو التعليميّة وخارجها. وتوضح أبحاث علميّة حول الاتّصال اللّغوي في منطقة الخليج العربي أنّ الإنجليزيّة تحتلّ المرتبة الأولى في التّخاطب اليومي، يليها هجين لغوي من العربيّة والإنجليزيّة .كما أن مسار التعريب في المغرب العربي ما زال متعثّرا، فمقرّرات كثيرة في المناهج في المؤسّسات التربويّة والجامعيّة تُدرّس باللّغة الفرنسية وخصوصاً المواد العلمية، من قبيل الطب والكيمياء والفيزياء والاقتصاد والصيدلة، والمؤسسات الإعلامية تزاوج بين استخدام اللغة العربية واللهجات المحلية أو اللّغات الأجنبيّة، مما أسهم في إنتاج جيل هجين لغوياً، لا يكاد يمتلك هوية لغوية خاصة به .

إضافة إلى ذلك فما يؤاخذ على شريط هو أنه كان انتقائيا في اختياره للمرجعيات والمذاهب التي يمكن أن تحدث تغير في الواقع، فهو يعتبر أن الاشتراكية هي الحل بالنسبة للجانب الاقتصادي وتنظيم الجماهير، وهنا يقول " نذهب إلى أوروبا فلا تستدعي اهتمامنا الجامعات والمتاحف والهياكل الفنية وآثار الكتاب والفلاسفة بل نفتتن بالملاهي الليلية وحرية الاتصال بالنساء .."[25]، فهو يرفض استراد الثقافة الاستهلاكية، والذي ينبغي استيراده هو الفكر والعلم والفلسفة التي تعمل على تغيير واقعنا، لهذا كان اهتمامه بالاشتراكية نظرا لأنها تجسد لعدالة التساوي بين الأفراد، لكنه لم ينتبه لهذا النظام أنه ينطوي على مبادئ لا تتماشى مع ثقافتنا خاصة إذا تعلق الأمر بالجانب الديني، لهذا فيلسوفنا يعد من دعاة تطعيم الاشتراكية، كما أنه تصوره الإيجابي لهذا النظام كان من جانبه الاقتصادي وهو بذلك تناسى الجانب السياسي والثقافي، وبهذا فإن المفكر وفي الأخير قد قدم مجموعة من الأفكار والتحليلات المتباعدة والبعيدة عن تشكيل نسق فكري متكامل.

7. خاتمة:

وختام هذا المقال يمكن القول أن اللغة العربية تبقى الرافد المحلي لثقافتنا في الجزائر وتعبير عن عمق من أعماق الهوية الوطنية والعرقية في الوطن العربي عامة والجزائر خاصة، كيف لا وهي لغة القرآن وأهل الجنة ضف إلى ذلك أن احتلالها في المراتب الأولى عالميا جعلها لغة لا يستهان بها حتى أنها غزت كل المواقع في شبكات الأنترنيت واستعمالات الإنسان اليومية لذلك لابد من الحفاظ على هذا الإرث الثمين.أصبح اليوم على عاتق كل فرد له انتماء إلى العربية أن يساهم في الدفاع عنها ضد المتربصين بهذه اللغة خاصة ضد اللغات الدخيلة (الأجنبية) ولابد في بلدنا الجزائر تجنيد كل السبل للحفاظ على اللغة العربية وذلك باستعمال اللغة الفصحى في تداولاتنا اليومية حتى تصبح راسخة في ثقافتنا باعتبار أنه من بين أسباب ثبات اللغة في أذهان مستعملها هو تداولها في الحياة العامة.

ويبقى مفكرنا عبد الله شريط أحد أيقونات الفكر الجزائري الذي ساهم بأبحاثه وآرائه من أجل دفع عجلة التنمية في المجتمع الجزائري، وهذا ما لا يخفى على جاحد على اعتبار أنه دافع عن هوية المثقف المحلى مراعيا في ذلك الخصوصيات العرقية والدينية واللغوية، لتحقيق حداثة جزائرية.

5. قائمة المراجع:

1 المجلس الأعلى للغة العربية، اللغة العربية، مجلة نصف سنوية، العدد الخامس، الجزائر، 2001، ص 147.

2 المجلس الأعلى للغة العربية، العربية – من محنة الكولونيالية إلى إشراقة الثورة التحريرية -، الجزائر، عدد ممتاز، 2005، ص 235.

3 عبد الجليل مرتاض، تجارب عربية في تفصيح العامية، مجلة اللغة العربية المجلس الأعلى للغة العربية، العدد 10، الجزائر، 2004، ص 63.

4 علي القاسمي، الجامعة والتنمية، سنة 2002، سلسلة المعرفة للجميع، الرباط، العدد 27، ص 157 .

5 عبد القادر الفاسي الفهري، اللغة والبيئة، سنة*2003* ، منشورات الزمن (مطبعة النجاح الجديدة)، الدار البيضاء (المغرب)، العدد*18* ، ص 19.

6 أحمد بوكوس، الأمازيغية والمنظومة التربوية، سنة*2002* ، مجلة نوافذ (عدد خاص بالمسألة الأمازيغية 17-18)، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء (المغرب)، ص 77.

7 عبد الرحمان ابن خلدون، الباب المحصل في أصول الدين، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية مصر ، *1996*، ص 147.

8 عبد الله شريط، مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986، ص.*49*

9 عبد الله شريط، من واقع الثقافة الجزائرية، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1981، ص 145.

10 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، عالم المعرفة (الجزائر)، 2011، ص 35.

11 عبد الله شريط، من واقع الثقافة الجزائرية، مصدر سابق، ص 161.

12 طارق البشري، سيبقى الغلو ما بقي التغريب، مجلة «العربي»، العدد 278، يناير 1982، ص61.

13 شلتاغ عبود، في المصطلح الثقافي والتغريب، مجلة «آفاق الثقافة والتراث»، العدد 33، 9 أبريل 2001، ص54.

14 طارق البشري، سيبقى الغلو ما بقي التغريب، مرجع سابق، ص 61.

15 فؤاد زكريا، ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب، مجلة «العربي»، العدد302، يناير 1984، ص35.

16 حزب جبهة التحرير الوطني: دستور 1963، المطبعة الوطنية الجزائرية، الجزائر:1963، ص. 13.

17 محي الدين عميور، أيام مع الرئيس هواري بومدين وذكريات أخرى، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت (لبنان)، 1995، ص 221.

18 المرجع نفسه، ص185.

19 القانون رقم 91-05 المؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق 16 يناير سنة 1991، الجريدة الرسمية رقم 03.

20 عبد الله شريط، من واقع الثقافة الجزائرية، مصدر سابق، ص.*20*

21 المصدر نفسه، ص 20.

22 عبد الله شريط، نظرية حول سياسة التعليم والتعريب، المؤسسة الوطنية للكتاب، 3 شارع زيغود يوسف (الجزائر)، ص 51.

23 عبد الله شريط، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للنشر التوزيع، ط 2، الجزائر 1981، ص 36.

24 المصدر نفسه، ص 536.

25 عبد الله شريط، معركة المفاهيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د س، ص 21.